خطوات تصميم البحث الاجتماعي الكمي والكيفي
((دراسة نظرية مقارنة))
Steps to Design Quantitative and Qualitative Social Research
((Comparative Theory study))

د. أميرة عبد المجيد عرقسوسي

أستاذ مساعد في جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية– قسم علم الاجتماع

البريد الالكتروني: almarmyral@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/12/12 - تاريخ القبول: 2022/03/10 - تاريخ النشر: 2022/06/01

الملخص: يهدف البحث الراهن التعريف بكل من البحث الاجتماعي الكمي والكيفي (النوعي)، واكتشاف أوجه الاختلاف بين بعض خطوات تصميم البحث الاجتماعي الكمي وخطوات تصميم البحث الاجتماعي الكيفي، وذلك بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، والمقارنة كطريقة في البحث الاجتماعي يمكن من خلالها تحقيق الهدف الأساسي للبحث. وبناءً على الدراسة النظرية تم التوصل إلى وجود اختلاف بين خطوات تصميم كل من البحث الاجتماعي الكمي والكيفي عموماً، وفي الفرضيات والمناهج وأدوات جمع البيانات إضافة إلى العينات خصوصاً.

الكلمات المفتاحية: البحث الاجتماعي، البحث الكمي، البحث الكيفي.

المؤلف المرسل: أميرة عبد المجيد عرقسوسي ، **الإيميل**: **almarmyral@gmail.com**

Steps to Design Quantitative and Qualitative Social Research ((Comparative Theory study))

Abstract: The current research aims to introduce both quantitative and qualitative social research and to discover the differences between some of the steps of designing qualitative social research, depending on the analytical descriptive approach, and comparative method as a method in social research through which the main objective of the research can be achieved. Based on the theoretical study, it is concluded that there is a difference between the design steps of both quantitative and qualitative social research in general as well as in hypotheses, curricula and data collection tools, in addition to samples in particular.

Keywords: Social Research- Qualitative Research, Quantitative Research.

- مقدمة:

تطور البحث العلمي في العقدين الأخيرين، وتعددت طرقه، الأمر الذي أتاح للباحثين مجالات عديدة يختارون منها ما يناسب أهدافهم.

ويمكن القول أنه في البحث الاجتماعي يوجد أسلوبان متمايزان، يختار الباحث منهما ما يراه مناسباً لبحثه من الناحية العلمية، هذان الأسلوبان هما الأسلوب الكيفي: النوعي (Qualitative) والأسلوب الكمي (Quantitative). ويمكن - في بعض البحوث ونظراً لاعتبارات تتعلق بها وبظروفها - الجمع بين الأسلوبين حتى تتم الفائدة بالحصول على ميزة كل منهما (انظر: الساعاتي وآخرون، ص 2006، 266).

حيث كان اهتمام معظم البحوث في الماضي يركز على البحوث الكمية، ثم تطورت أساليب البحث وظهرت البحوث النوعية، ومع تطور عملية البحث لم يعد الأمر مقتصراً على الاختيار بين البحوث الكمية والبحوث الكيفية بل الجمع بينهما في البحث الاجتماعي الواحد.

الأمر الذي يدفعنا إلى تسليط الضوء على بعض خطوات تصميم هذان الأسلوبان معاً، بغيه معرفة نقاط الاختلاف بينهما. وبذلك فإن جوهر موضوع البحث يتمثل بالتساؤل الرئيس الآتي:

ما أوجه الاختلاف بين بعض خطوات تصميم البحث الاجتماعي الكمي وخطوات تصميم البحث الاجتماعي الكيفي (النوعي)؟

وسيتم الإجابة عن التساؤل الرئيس للبحث وتحقق هدفه العام المتمثل باكتشاف أوجه الاختلاف بين بعض خطوات تصميم البحث الاجتماعي الكمي والبحث الاجتماعي الكيفي، باعتماد المنهج الوصفي التحليلي الذي يشمل البحث المكتبي، حيث تم الرجوع إلى الأدبيات المتنوعة في مجال البحث العلمي

الاجتماعي بشكل عام، والبحث الاجتماعي الكمي والكيفي بشكل خاص، والاستفادة من البحوث والدراسات السابقة التي صدرت في شكل كتب ودوريات ورسائل جامعية ذات علاقة بموضوع البحث.

أما الطريقة المعتمدة في البحث الراهن والمناسبة لموضوع البحث وهدفه ومنهجه، فقد تمثلت بطريقة المقارنة.

أولاً- مفاهيم البحث:

حدد المفهوم بأنه: "التركيب العقلي الذي يصور بعضاً من سمات العالم في صيغة عقلية مبسطة. ويستخدمويستخدم علماء الاجتماع المفاهيم؛ وذلك لتمييز سمات الحياة الاجتماعية" (Macionis, 2000, p.17)

- **البحث الاجتماعي Social Research:**

عرف بأنه " طريقة في التفكير، وأسلوب للنظر إلى الواقع، بحيث يصبح معنى المعطيات التي تم جمعها واضحاً في ذهن الباحث. وهو أسلوب يحل به المتخصصون المشكلات الصعبة، ويحقق فهم السلوك الإنساني والحياة الاجتماعية حتى تزيد قدرتنا على التحكم فيها " (مسلم، 2015- 2016، 17).

فالبحث الاجتماعي في أبسط صوره: هو الطريقة العلمية المنظمة التي تستخدم لدراسة الواقع الاجتماعي (الظواهر الاجتماعية بشقيها السوية والمعتلة)، بغية التوصل إلى حقائق جديدة يمكن استخدامها والاستفادة منها علمياً وعملياً.

- **البحث الكمي Quantitative Research :**

هو البحث الذي يهدف إلى جمع بيانات حول ظاهرة معينة، باستخدام أدوات قياس كمية تطبق على عينة من المجتمع لكنها تمثله، وتتم معالجة البيانات التي يتم جمعها بطريقة إحصائية للوصول إلى نتائج علمية قابلة للتعميم على مجتمع البحث كاملاً (انظر: الخرابشة، 2012، ص93).

- **البحث الكيفي Qualitative Research:**

بالاطلاع على تعريفات البحث الكيفي نجد بأنه ليس هناك من تعريف موحد له، وأن هناك صعوبة في تحديده نظراً لطبيعته الخاصة في منهجيته وتصميمه وأساليب جمع بياناته وخطواته الإجرائية، فمصطلح الكيفي يكتنفه بعض الغموض لأنه ربما يعني أشياء مختلفة لأشخاص مختلفين، فبعض الباحثين يجمعون البيانات بواسطة أداة المقابلة أو الملاحظة وهما أداتان مرتبطتان بطرق البحث الكيفية، لكنهم يقومون بترميز تلك البيانات بأسلوب يتيح لهم تحليلها تحليلاً إحصائياً (كمياً) مما يجعل الكثير من الباحثين يعرفون البحث الكيفي بأنه كل ما ليس كمي (انظر: ستراوس، 1999، ص19).

ثانياً– ماهية البحث الاجتماعي الكمي والبحث الاجتماعي الكيفي:

تعد البحوث الكمية أحد انواع البحوث العلمية التي يشكل فيها القياس المحور الأساسي على عكس البحوث الكيفية؛ ففي البحث الكمي يُستخدم عملية حسابية وإحصائية لجمع وتحليل البيانات، وينطوي البحث الكمي على مجتمع بحثي كبير ويمنح الفرصة للحصول على نتائج أكثر دقة.

أما بالنسبة للبحوث الكيفية والبحث الكيفي هو ذلك الذي يعتمد على دراسة الظاهرة في ظروفها الطبيعية باعتبارها مصدراً مباشراً، للبيانات وتستخدم بياناته الكلمات والصور وليس الأرقام، ويعتمد في جمع بياناته على الملاحظة بالمشاركة واجراءات المقابلات وفحص وتحليل الوثائق والمقابلة المتعمقة (see: Bryman, 2005, p118)

ويعتمد البحث الكيفي على دراسة وقراءة البيانات والأحداث بأسلوب غير كمي، حيث لا يتم تحويل البيانات إلى أرقام كما في حالة البحث الكمي، وإنما يتم الحصول على النتائج من واقع ملاحظة وتحليل الأحداث والمواقف والصور والوثائق والاتصالات اللفظية وغير اللفظية (انظر: ريان، 2003، ص3).

كما جاء في أحد التعريفات للبحوث الكيفية بأنها " نوع من البحوث العلمية، التي تفترض وجود حقائق وظواهر اجتماعية يتم بناءها من خلال وجهات نظر الأفراد والجماعات المشاركين في البحث. ويتوجه الباحث في هذا النوع من البحوث عادة نحو عينة مقصودة (purposeful) في جمع البيانات.... ويكون دور الباحث فيها دوراً اجتماعياً متفاعلاً ، لكنه يعتمد على الذاتية المنضبطة، للابتعاد عن التحيز في جمع البيانات وتفسيرها. ولا يهدف البحث النوعي عادة إلى تعميم النتائج، بل إلى توسيع نتائج الحالة المبحوثة لاحتمالات الاستفادة منها في حالات ومواقف أخرى" (قنديلجي، 2008، ص45).

وقد اتخذ البحث الكيفي عدة أسماء منها البحث الطبيعي (naturalistic) لأنه يهتم بدراسة الظواهر في سياقها الطبيعي، وقد يسمى البحث التفسيري (interpretive) لأنه لا يكتفي بالوصف بل يتعدى ذلك إلى التحليل والتفسير، وقد يسمى خاصة في مجال دراسات علم الإنسان، العمل الميداني (fieldwork) ويسمى أحياناً في هذا المجال أيضاً الأثنوغرافي. كذلك نجد الكثير من الباحثين يعتبرون أن البحوث الكيفية هي دراسة الحالة لأنها تركز على الحالات، إلا أنه لا يمكن اعتبار كل دراسة الحالة دراسة كيفية، فكثير من دراسات الحالات تتبع في أسلوبها الدراسات الكمية.

ويصنف البحث الكيفي في صنفين يميز كل منهما عن الآخر نوع البيانات واستراتيجيات جمع هذه البيانات وهما:

- البحث الكيفي التفاعلي: هو بحث ميداني يعتمد في جمع البيانات على الاتصال المباشر ما بين الباحث والمبحوثين.

- البحث الكيفي التحليلي (غير التفاعلي): هو بحث وثائقي تحليلي أو بحث تاريخي (انظر: أبو زينة وآخرون، 2007، ص39).

ويستخدم الأسلوب الكيفي في دراسة الظواهر التي يتبين للباحث أن الأسلوب الكمي لا يستطيع وصف أو تفسير المشكلة أو الحالة المعروضة، كالأبحاث التي تحاول اكتشاف طبيعة تجارب الأشخاص مع ظواهر متل: الديانة، المرض، والإدمان...إلخ. كما أن البحث الكيفي ينظر للسلوك الإنساني على أنه معقد يصعب فهمه بالطريقة الكمية، ويسلم بأنه مرتبط بالبيئة التي تجري بها البحث، ويهتم بفهم الظاهرة من منظور المشاركين أنفسهم ومن خلال معايشة الباحث لحياة المبحوثين العادية، ولا يهدف الباحث في البحوث النوعية إلى تعميم النتائج، بل يتمثل هدفه في توسيع نتائج الحالة التي كثيراً ما تقود إلى مواقف وحالات قد تكون مشابهة. بالمقابل تهدف البحوث إلى اختبار بعض الفرضيات أو الإجابة عن التساؤلات التي تتعلق بوصف واقع معين، وذلك من خلال بناء علاقات وقياس بعض المتغيرات، واستخدام البيانات المتوافرة لإيجاد علاقة ارتباطية أو سببية. كذلك تحاول هذه البحوث التوصل إلى عموميات غير مرتبطة بالسياق الذي تنفذ فيه الدراسة (انظر: قنديلجي، 2008، ص45- 46).

ثالثاً- خطوات تصميم كل من البحث الاجتماعي الكمي والبحث الاجتماعي الكيفي:

خطوات تصميم البحوث الاجتماعية عموماً سواء الكمية منها أم الكيفية، تعكس منطقاً تحليلياً أو استقرائياً يتم من خلاله جمع البيانات والمعلومات المرادة. إلا أن هذه الخطوات في البحث الكيفي يمكن أن تستكمل وتتعدل وفقاً للموقف (أي تكون عامة ومبدئية)، وعلى هذا الأساس فهي خطة مرنة تسمح بإدخال التعديلات. بينما في البحوث الكمية تكون الخطة جاهزة ومتكاملة ومعدة مسبقاً. فالباحث في البحوث الكمية يقوم بتصميم كل جوانب البحث بدقة قبل القيام بعملية جمع البيانات أي الانتقال إلى خطوات تنفيذ البحث. فهو يحدد المتغيرات ويصيغ الفرضيات ويحدد المقاييس الإحصائية التي ستستخدم في تحليل البيانات. حيث يمكن للباحث أن يعلم مقدماً في البحوث

الكمية ما يبحث عنه، لأن لديه تساؤلات أو فرضيات ويستطيع أن يتصور ما سيكون عليه الإجابة عن التساؤلات أو اختبار الفرضيات. وبغض النظر عن المشكلات أو الظواهر التي يدرسها الباحثون في البحوث الكمية، فإنهم يصرون على أن هذا التحديد المسبق لخطوات وعناصر تصميم البحث مهم للغاية. بينما على العكس من ذلك نجد في البحوث الكيفية، فنادراً ما يضع الباحثون في هذه البحوث تصميماً تفصيلياً لكل جوانب البحث قبل البدء بالدراسة وجمع البيانات. حيث أن التصميم ينبثق كلما ظهرت الدراسة للعيان. ويعدل الباحثون من إجراءاتهم وطرقهم طبقاً للمادة التي يجمعونها ولذلك نجد أن التصميم يتغير ويتعدل مع تقدم البحث وتطور جمع البيانات. وهذا مهم لأن الباحث في الدارسات الكيفية لا يتأكد من الأشياء التي سوف يعلمها في موقف معين (لأنه لم يحدد مسبقاً شكل البيانات التي يتوقعها)، ولأن ما يصل إليه في موقف معين يتوقف على طبيعة وأنواع التفاعلات بين الباحث والناس والموقف، ولا يمكن التنبؤ بهذه التفاعلات بشكل كامل. كما أن المظاهر التي تحتاج إلى استقصاء لا يمكن دائماً معرفتها حتى يشاهدها الباحث.

بعبارة أخرى مختصرة: تصاميم البحث الكيفي أقل تنظيماً من تصاميم البحث الكمي (انظر: قنديلجي وآخرون، 2009، ص62، 66).

وبذلك لا يمكن تحديد خطوات تصميم البحث في البحوث الكيفية إلا بشكل عام للغاية يبين كيف يمكن أن تسير عليه الدراسة، فتبدأ خطة البحث بعرض عام للمشكلة أو سؤال عام مبدئي (مثال: ما تأثير الانترنت في المراهقين). حيث تكون مشكلة البحث في البداية غير متكاملة المعالم، من ثم يمكن إعادة صياغتها وبلورتها لاحقاً خلال جمع البيانات والتحليل الأولي لها، باعتبار أن هناك تحليل أولي ومن ثم شامل للبيانات الكيفية.

ثالثاً– الفروض في البحث الاجتماعي الكمي والكيفي:

الفرض: هي عبارة عن حل أو تخمين أو فكرة أو استنتاج أو تفسير مبدئي مرتبط بالموضوع المدروس، يتولد في عقل الباحث ويسعى للتحقق من صحته في مرحلة تالية. وتتشابه الفروض مع التساؤلات في أن كليهما استفسار أو قضية ليس في ذهن الباحث إجابة عنها، وهو يدور حول تفسير جانب أو أكثر من مشكلة البحث.

وتشتمل الفروض على عنصرين أساسيين يسميان متغيرين Variables، الأول هو المتغير المستقل Independent Variable، والثاني هو المتغير التابع Dependent Variable.

ومن الجدير بالذكر أن الفروض ضرورية لكل أنواع البحوث، وبعبارة أخرى لا تقتصر الفرضيات على البحوث الميدانية، بل تتعداها إلى الوثائقية التي تتطلب استقراء المصادر والوصول إلى الاستنتاجات المطلوبة.

كذلك خطوة صياغة الفروض مهمة سواء في البحوث الاجتماعية الكمية أم في البحوث الاجتماعية الكيفية، لكن مع وجود فارق بينهما فيما يتعلق بهذه الخطوة؛ ففي البحوث الكمية تصاغ الفروض بشكل مسبق، حيث تجري هذه البحوث وفق خطوات تتابعية ومخطط معد إعداداً مسبقاً يسترشد به الباحث. أما في البحوث الكيفية لا يستطيع الباحث وضع فرض أو فروض مسبقة؛ وذلك لأن الباحث النوعي لا يكون لديه تصورات مسبقة وراسخة عن الموضوع المراد دراسته، فيما يتعلق بالمتغيرات المستقلة والتابعة، إذ أنه سيقوم بدراسة موضوع جديد لا يمتلك تصورات ومعرفة مسبقة وافية عنه، هذه المعرفة والتصورات المسبقة التي تتعلق عادة بالمتغيرات التي نستخدمها في تحديد المشكلة وصياغة تساؤلات البحث أو فرضياته، لذلك فهو سيدرس جميع العوامل والمؤثرات في موقف معين دون تحديد مسبق.

ومن ثم فإن الباحث يأخذ ويشتق من المقابلات الأولى معنى ومغزى لما يسمع أو يرى ثم يضع في ضوءها تخمينات تتطور لاحقاً إلى فرضيات يعمل على تأكيدها أو نفيها من خلال مقابلاته وملاحظاته اللاحقة ثم يخرج بالتفسيرات والنتائج (انظر: قنديلجي، 2008، ص46- 47).

رابعاً- المناهج في البحث الاجتماعي الكمي والكيفي:

" المنهج في العلم يعني جملة المبادئ والقواعد والإرشادات التي يجب على الباحث اتباعها من ألف بحثه إلى يائه بغية الكشف عن العلاقات العامة والجوهرية والضرورية التي تخضع لها الظواهر موضوع الدراسة " (بريك، 2002- 2003، ص17).

وتعد مناهج البحث الكيفي قديمة جداً في العلوم الاجتماعية؛ إذ يرجع العديد منها إلى القرن التاسع عشر، كالمنهج الهرمينوطيقي عند (دلتاي وفيبر). لكن معظم الدراسات المعاصرة ترجعه إلى العقود الأخيرة من القرن العشرين، وتحصره بالتفاعلية الرمزية والأثنوميثودولوجيا. والحقيقة أن المناهج الكيفية نهضت وتطورت في أوروبا، ولقد أدت هجرة المفكرين الأوروبيين من أمثال (لاتسرزفلد، ألفرد شوتس، أدورنو، منهايم ، مركوزه... إلخ) إلى أميركا، إلى نشأة العديد من المناهج الكيفية وتطويرها في أميركا (انظر: عرابي، 2007، ص37- 39، 47، 68).

وفي أواخر السبعينات دافع (تايلور) عن عدة مداخل، ومن بينها مداخل المناهج الكيفية، وأكد على أن الاستقصاء الطبيعي يعتبر أسلوباً متقناً في دراسة الظواهر الاجتماعية. ولاحظ تايلور أن

الباحثين الميدانيين عندما يستخدمون المناهج الكمية، إنما يكون ذلك بهدف زيادة تقنين الملاحظات، ومن ثم فإن المناهج الكمية والمناهج الكيفية تكمل كليهما الآخر.

وقد سادت ميدان البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية خلال القرن العشرين مناهج بحثية تعتمد البيانات الكمية والتحليل الإحصائي لهذه البيانات، وحققت تلك المناهج انتشاراً واسعاً بصورة توحي بأن من لا يعتمد تلك المناهج لا يكون معداً إعداداً جيداً في أساليب البحث العلمي. لكن هذه الصورة بدأت تتغير منذ بداية الربع الأخير من القرن العشرين، حيث أخذ عدد من العلماء يوجهون إلى البحوث الكمية نقداً شديداً طال فلسفتها ومرجعيتها وطرق تفسير نتائجها. وكثر الحديث عن المناهج الكيفية بوصفها بديلاً أكثر ملاءمة للعلوم الإنسانية والمجتمعية، وبدأت هذه المناهج تجد قبولاً في المؤسسات الأكاديمية بصورة عامة (انظر: السلطان، 2008- 2009، ص3).

ويمكن القول بأن منهجية البحث الكيفي أصبحت تلقى قبولاً متنامياً في البحوث الاجتماعية من خلال وجود عدداً يتزايد من الدراسات التي تعتمد المناهج الكيفية، كما أنه ونظراً لأهمية المنهجية الكيفية فإن الأبحاث الاجتماعية الكيفية ستمتد وتنتشر على نطاق واسع إلى جانب الأبحاث الاجتماعية الكمية.

وأغلب مناهج البحث الاجتماعي تستخدم سواء في البحوث الكمية أم في البحوث الكيفية، لكن **هناك عدد من المناهج المستخدمة على وجه الخصوص في البحوث الكيفية، هي:**

- منهج دراسة الأعراق الأثنوغرافيا Ethnography
- منهج دراسة الظواهر (الظاهراتية) Phenomenology
- منهج النظرية المجذرة (أو المتجذرة) Grounded Theory
- منهج الإثنوميثودولوجيا (منهج الجماعة) **Ethnomethodology**

خامساً- أدوات جمع البيانات في البحث الاجتماعي الكمي والكيفي:

"يرتبط مفهوم الوسيلة أو الأداة بالكلمة الاستفهامية (بماذا)، فإذا تسألنا: بماذا يجمع الباحث بياناته؟ فإن الإجابة عن ذلك التساؤل تستلزم تحديد نوع الأداة المناسبة للبحث" (عبد الحفيظ وآخرون، 2000، ص143).

وهناك العديد من أدوات ووسائل جمع البيانات في البحث العلمي الاجتماعي عموماً، يكاد يجمع كتاب البحث العلمي عليها، والتي يمكن تحديدها بالآتي:

- الاستمارة.
- المقابلة، سواء كانت مقابلة كمية منظمة أو مقابلة نوعية غير منظمة.
- الملاحظة، سواء كانت ملاحظة كمية منظمة أو ملاحظة نوعية غير منظمة.
- الوثائق والمصادر.

1 - الاستمارة:

ترتبط هذه الأداة على الأغلب بالبحوث الاجتماعية الميدانية الكمية. وهي عبارة عن مجموعة من الأسئلة مرتبطة بموضوع البحث وأهدافه وفرضياته (أو تساؤلاته) بشكل أساسي، توجه للأفراد بغية الحصول على بيانات معينة مرتبطة بموضوع البحث المدروس. وقد ترسل بالبريد العادي أو الالكتروني ليجيب عنها المبحوث بنفسه وعندها تسمى (استبانة)، أو توجه له أثناء مقابلة الباحث له وعندها تسمى (استمارة مقابلة).

2- المقابلة:

المقابلة في البحث العلمي الاجتماعي هي عبارة عن حوار أو محادثة أو مناقشة موجهة، تكون بين الباحث من جهة، وشخص أو أشخاص آخرين من جهة أخرى، وذلك بهدف التوصل إلى معلومات يحتاجها الباحث في بحثه. وتُوجه المقابلة بناء على محاور وأسئلة وأفكار معينة متعلقة بموضوع البحث (دليل المقابلة).

ويكون نوع المقابلة في البحث الاجتماعي الكمي عادة هو المقابلة المنظمة، والتي لا تختلف كثيراً في طبيعة أسئلتها عن الاستمارة. حيث يتم سؤال المشارك المعني بالبحث مجموعة من الأسئلة المعدة مسبقاً. وفي المقابلات المنظمة عادة يتلقى جميع المشاركين الأسئلة نفسها وبنفس الترتيب والطريقة، ويكون دور الباحث فيها محايداً. وطبيعة أسئلة هذا النوع من المقابلات لا تكون معمقة بل سهلة الإجابة، وكذلك سهلة التبويب والتحليل.

أنواع المقابلة الكمية:

هناك من يقسم المقابلة إلى أنواع وفقاً لأسئلتها، وهي:

- مقابلة بأسئلة مغلقة - مقابلة بأسئلة مفتوحة - مقابلة بأسئلة مغلقة ومفتوحة معاً.

بينما آخرون يقسمون أنواع المقابلة بطريقة أخرى، هي:

- المقابلة المباشرة أو الشخصية: أي المقابلة وجهاً لوجه بين الباحث والشخص أو الأشخاص المعنيين بالبحث. وهذه هي أكثر أنواع المقابلات استخداماً في البحث الاجتماعي.
- المقابلة الهاتفية: إما أن تكون مكملة للمقابلة الشخصية، أي استكمالاً لبعض المعلومات التي كان الباحث قد حصل عليها، أو أن تجري أساً على الهاتف لأسباب تخرج عن إرادة الباحث والمبحوث.
- المقابلة بواسطة وسائل الاتصال الحديثة: أي عن طريق البريد الالكتروني أو عبر الحديث الصوتي (Mic) والمرئي (Webcam) عن طريق الانترنت.

ويوجد اتجاه آخر في تقسيم المقابلة وأسئلتها إلى أنواع، هو الآتي:

- المقابلة المقننة: أو المبنية بناء محكماً مسبقاً. حيث تكون أسئلتها محددة مسبقاً ومقننة الإجابات.
- المقابلة شبه المقننة: يعد الباحث مجموعة من الأسئلة، ولكنه قد يغير في تسلسلها أو يحذف بعضها أو يضيف بعضاً آخر لها، وفقاً لمجريات المقابلة والمعلومات التي يجمعها.
- المقابلة المفتوحة: والتي تسمى المقابلة غير المصممة مسبقاً، حيث يثبت الباحث أسئلة محدودة جداً، ويترك أمور الأسئلة الأخرى تتطور وفق ما تمليه الحاجة وطبيعة البحث والمقابلة.

وتسمى أيضاً بالمقابلة المتعمقة أو المعمقة، وهذا النوع من المقابلات هو الذي يستخدم عادة في البحوث الكيفية. حيث لا يستخدم الباحث فيها مجموعة محددة من الأسئلة تكون صياغتها بنفس الطريقة، أي نمطية، لكل شخص تجري مقابلته. إلا أن ذلك لا يمنع من وجود بعض الأسئلة المشتركة لجميع المشتركين أو لعدد منهم وفقاً لطبيعة الموضوع المدروس. وفي هذا النوع من المقابلات يسجل الباحث (بعد الحصول على الموافقة من قبل الشخص المشارك) على الأغلب مجريات المقابلة بالمسجل الصوتي، وأحياناً مقاطع صوت وصورة "فيديو".

من جانب آخر قد يستخدم الباحث في البحوث الكيفية الملاحظة ليستكملها بالمقابلات المعمقة ومن ثم بالوثائق التي تؤكد البيانات والمعلومات المجمعة بهاتين التقنيتين. وقد يبدأ باستخدام المقابلات المعمقة ليدعهما بملاحظاته ومن ثم الوثائق والوسائل الداعمة الأخرى. فما يهم الباحث النوعي بالدرجة الأولى هو التعمق في الحصول على المعلومات الوافية.

وينبغي أن يتميز تصميم المقابلة النوعية بالمرونة: حيث يتبلور التصميم تدريجياً مع عملية اختبار الأسئلة وطرح أسئلة مفتوحة، ومن ثم إجراء التعديلات على مجموعة الأسئلة الأولية أو على طريقة طرحها، من خلال مقابلة المبحوثين والحصول على المعلومات والبيانات منهم. أي أن تصميم المقابلة يتغير خلال فترة تنفيذها. وإن التساؤلات أو الفرضيات الأولية والعامة التي قد تعتبر هامة قبل إجراء المقابلات الأولية قد تصبح أقل أهمية بعد أن يغوص الباحث في ميدان البحث وجمع المعلومات الميدانية.

من جهة أخرى فإنه على الرغم من أن المقابلات المعمقة تمكننا من جمع كميات كبيرة من المعلومات، إلا أنها تستغرق وقت طويل عند إجرائها، كما أن تحليل الكميات الكبيرة من المعلومات التي يتم جمعها عن طريق المقابلة المعمقة ليس بالأمر السهل.

أما أنواع الأسئلة في المقابلات المعمقة (المعتمدة أساساً في البحوث الكيفية)، فهي:

- أسئلة تقديمية: تطرح بهدف حمل المشارك على تقديم وصف تلقائي وغني عن موضوع البحث. من أمثلتها: أيمكنك أن تخبرني..... أيمكنك أن تصف لي.....
- أسئلة متابعة: وتطرح بأشكال متعددة لحث المشارك على الاستمرار في الحديث، أو أن تكون بشكل إشارة أو بترديد كلمة أو عبارة أساسية.
- أسئلة تدقيق وتمحيص: الهدف منها الحصول على إجابات معمقة والتدقيق بمحتواها. مثال: أيمكنك أن تتحدث بمزيد من التفصيل عن هذه النقطة، أتستطيع أن تعطي أمثلة أكثر عن ذلك؟
- أسئلة تحديدية: تهدف إلى وصف أكثر دقة لتجارب مر بها الأشخاص بدلاً من العبارات الأكثر عمومية. مثال: كيف كان شعورك عندما تلقيت خبر ترقيتك في العمل الوظيفي؟
- أسئلة مباشرة: تهدف استدراج المشارك نحو أبعاد وجوانب محددة من موضوع مطروح. ومن المفضل تأجيل مثل هذا النوع من الأسئلة إلى مرحلة لاحقة بعد أن يكون المشارك قد

عبر عن النواحي والأبعاد الأساسية للموضوع. مثال: هل سبق وأن مارست الرياضة بشكل منتظم؟

- أسئلة غير مباشرة: أسئلة اختبارية قد تلمح إلى آراء المشارك ومواقفه التي لا يعبر عنها بشكل مباشر، وذلك عن طريق السؤال عن آراء الآخرين ومواقفهم. مثال: في نظرك ما هو رأي الشباب الجامعي بالدورة التكميلية؟
- الأسئلة التفسيرية: هي أسئلة تتطلب إعادة صياغة إجابة ما. مثال: إذاً أنت تقصد..... أو تهدف إلى توضيح إجابة. مثال: هل صحيح أنك.....؟ ((انظر: قنديلجي، 2008، ص174- 175، 179- 182).

3- الملاحظة:

الملاحظة في البحث العلمي هي: المشاهدة والمراقبة الدقيقة لسلوك أو ظاهرة معينة، وتسجيل الملاحظات أول بأول. وتعد الملاحظة الأداة الأكثر فعالية في جمع معلومات عن السلوك في المواقف الطبيعية، مثال: سلوك الطفل أثناء اللعب أو الأكل. فهي تسمح بمعرفة وتسجيل النشاط أو السلوك ساعة حدوثه، بمعنى آخر: هي الأكثر دقة لفهم الفرد وما يحدث حوله.

وعلى الرغم من أن الملاحظة تستخدم في البحوث الاجتماعية الكمية (وتسمى في هذه الحالة بالملاحظة المنظمة) كأداة لجمع البيانات، إلا أنها على الأغلب تستخدم في البحوث الاجتماعية النوعية (وهنا تسمى بالملاحظة غير المنظمة).

وهنا يمكن أن نذكر بعض الاختلافات بين الملاحظة في البحوث الكمية والملاحظة في البحوث الكيفية:

في الملاحظة الكمية غالباً ما تكون المعلومات التي يريد الباحث الحصول عليها رقمية (كمية). فمثلاً يقوم بتسجيل عدد الأسئلة التي يلقيها المدرس، وعدد الطلاب المشاركين في الفصل، أو حساب الوقت الذي يستغرقه المدرس في الحصة الواحدة، وما شابه ذلك. فالملاحظ/ الباحث يهتم غالباً بتسجيل أرقام.

ويقوم الباحث في البحوث الكمية بالملاحظة وجمع المعلومات عن طريق أداة معدة سلفًا؛ حيث يضع أسئلة أو فرضيات مسبقة توجه عملية البحث.

أما الملاحظة النوعية فهي أقل تنظيماً من ذلك، فالملاحظ/ الباحث لا يستخدم تصنيفات وأنماطاً محددة سلفاً، بل يسجل ملاحظاته بشكل طبيعي ومسترسل ومفتوح، فيقوم بتسجيل الواقع كما يحدث. والفكرة الأساسية هنا هي أن التصنيف والتوصيف الذي تتعرض له المعلومات الناتجة عن الملاحظة ستظهر بعد جمع المعلومات وتحليلها، بدلاً من أن تفرض على المعلومات في أثناء عملية الملاحظة.

وعندما تكون الملاحظة غير منظمة فإن عملية الملاحظة تنشأ من خلال سلسلة من العمليات المختلفة. فتبدأ باختيار الوضع المراد ملاحظته وتحديد طريقة الوصول إليه ثم بدء عملية الملاحظة والتسجيل. ومع تقدم الدراسة أو البحث تتغير طبيعة الملاحظة بحيث تزداد تركيزاً، ما يؤدي إلى مزيد من الدقة والوضوح في أسئلة البحث، وهذا بدوره يؤدي أيضاً إلى دقة أكثر في اختيار مواضع الملاحظة. وتستمر الملاحظة وجمع المعلومات إلى أن يشعر الباحث أن الملاحظة لم تعد تأتي بجديد، بل تكرار لما سبق.

كما أن مدى الملاحظات عادة ما يكون أوسع في البحوث الكيفية. إذ أن الملاحظون في البحوث الكمية يميلون إلى مظاهر محددة من السلوك، وفي سبيل ذلك قد لا يهتمون بالمضمون. بينما الملاحظين في البحوث الكيفية ينظرون إلى السلوك ومحيطه البيئي من منظور شمولي كلي.

عموماً قرار إنهاء عملية الملاحظة في البحوث الكيفية مرتبط بوصول الباحث إلى ما يسمى بمرحلة الإشباع، بمعنى أن أية معلومات في مواقف جديدة لن تضيف شيئاً جديداً للمعلومات التي توصل إليها الباحث مسبقاً (انظر: قنديلجي وآخرون، 2009، ص347، 352- 355).

4- المصادر والوثائق:

كانت ولا تزال مصادر المعلومات تمثل إحدى أدوات جمع البيانات المهمة في البحث الاجتماعي سواء الكمي منه أم الكيفي. حيث يقوم الباحث بجمع هذه المصادر والوثائق بأشكالها المختلفة، ومن ثم يختار منها ما يحتاجه في بحثه، وبعد أن يقوم بتسجيل المعلومات المأخوذة منها، يبدأ بتحليل تلك المعلومات وإبداء الملاحظات عليها.

وعلى الباحث عند اعتماده المصادر والوثائق كأداة لجمع المعلومات الانتباه إلى عدة أمور، والعمل بمقتضاها، ومن أهمها:

- الاعتماد على المصادر الأولية في جمع المعلومات، قبل اللجوء إلى المصادر الثانوية في حالة صعوبة الحصول على المصادر الأولية المطلوبة.

- التأكد من أن المصادر والوثائق هي الأداة الوحيدة المعتمدة في جمع البيانات (الأداة الرئيسية)، أم أنها مكملة لأدوات أخرى (أداة ثانوية)؟
- التأكد من طبيعة أوعية المعلومات التي سيعتمد عليها الباحث. فهل سيعتمد على الكتب؟ أم على البحوث والدراسات والمقالات المنشورة في الدوريات؟ أم على التقارير السنوية؟ أم على الوثائق التاريخية...إلخ؟ أم على هذه وتلك من المصادر. ثم هل سيعتمد الباحث على المواد المطبوعة أو الورقية التقليدية؟ أم على المواد السمعية والبصرية والتسجيلات؟ أم على المصادر الالكترونية عبر الانترنت والأقراص المدمجة؟ أم على أكثر من مصدر؟ فلكل مصدر ومادة منها لها شكلها وميزاتها وطبيعتها في التعامل مع البيانات الموجودة فيها، والتي يحتاجها الباحث.

وهناك مصادر متعددة ومتنوعة لجمع البيانات الكيفية نذكر منها: مدونات المقابلات التحليلية، والمذكرات الميدانية، والصور الضوئية، والتسجيلات السمعية والبصرية، والسير الذاتية، والتعليقات الشخصية والمحادثات، والسجلات الرسمية، والقطع النثرية والشعرية والأعمال الفنية المتنوعة، وغير ذلك ممن يعبر عن الأفعال أو الكلمات الفعلية للناس، فالمواقف الطبيعية تعد المصادر المباشرة للبيانات الكيفية دون محاولة اختزالها أو تحويلها إلى رموز عددية (انظر: كاميك وآخرون، 2007، ص9).

سادساً- العينة في البحث الاجتماعي الكمي والكيفي:

يمكن تحديد العينة Sample التي معظم البحوث الاجتماعية تعتمدها، بأنها: نموذجاً يشمل جانباً أو جزءاً من وحدات المجتمع الأصلي المعني بالبحث، تكون ممثلة له، بحيث تحمل صفاته المشتركة. وهذا النموذج أو الجزء يغني الباحث عن دراسة كل وحدات ومفردات المجتمع الأصلي للبحث، خاصة في حالة صعوبة أو استحالة دراسة كل تلك الوحدات.

أما المعاينة sampling: فهي عبارة عن التقنية أو الطريقة أو الأسلوب الذي يتم بموجبه اختيار أفراد عينة ملائمة بهدف تحديد خصائص أو مواصفات معينة أو الخروج باستنتاجات عن المجتمعات.

وهناك عينات عشوائية أو احتمالية: وهي العينات التي تعطي الفرصة فيها لكل وحدات وأفراد المجتمع الأصلي أن يكونوا ضمن العينة المنتقاة. بالمقابل هناك عينات غير عشوائية أو غير احتمالية تعتمد الصدفة أو تحقق أغراضاً بحثية أخرى.

وعينات البحث الكمي تكون عشوائية في الغالب بغرض أن تكون العينة ممثلة لأفراد المجتمع الأصلي للبحث، وبذلك يستطيع أن يعمم النتائج التي توصل إليها من خلال دراسته لهذه العينة على وحدات المجتمع الأصلي للبحث. لكن لابد من الإشارة إلى أنه تستخدم أحياناً بعضاً من أنواع العينات غير العشوائية في البحوث الاجتماعية الكمية، وذلك وفقاً لطبيعة الموضوع المدروس والبيانات المراد جمعها.

أما عينات البحث الكيفي تكون مقصودة وعددها أقل من العينات العشوائية عادة، باعتبار أن البحث الكيفي لا يهدف إلى تعميم النتائج كما ذكرنا مسبقاً بل إلى الفهم الأعمق للظاهرة المدروسة، ولكنها تؤمن غزارة وافية في البيانات والمعلومات، ويكون المشاركون في البحوث النوعية أفراد تتوافر فيهم خصائص الحالة المدروسة ويتم اختيارهم بصورة هادفة (انظر: قنديلجي، 2008، ص47).

وفيما يتعلق بأنواع العينات العشوائية المعتمدة في البحث الاجتماعي الكمي، نذكر منها:

- العينة العشوائية البسيطة Simple Random
- العينة العشوائية المنتظمة Systematic Sample
- العينة العشوائية الطبقية Stratified Sample
- العينة العشوائية الطبقية التناسبية أو العينة الحصصية (Quota Sample)
- العينة العشوائية العنقودية Cluster Sample

وفيما يتعلق بأنواع العينات غير العشوائية المعتمدة في البحث الاجتماعي الكيفي، نذكر منها:

- العينة العَرضية أو عينة الصدفة (المصادفة) Accidental Sample
- العينة المقصودة أو العمدية (الغرضية) Purposive Sample

وللعينات المقصودة المستخدمة في البحث الكيفي أنواع، ويتم استخدام كل منها تبعاً للمعلومات المطلوبة، نذكر منها:

- العينات الشاملة
- عينة الفروق القصوى
- العينة الشبكية أو عينة كرة الثلج
- عينة الحالات المتطرفة (انظر: قنديلجي، 2008، ص154-155).

حجم العينة في البحث الكيفي

بداية يمكن القول أن حجم العينات في البحوث الكيفية محدود وصغير مقارنة بحجم العينات في البحوث الكمية. وتوجد قوانين أو قواعد إحصائية لحجم العينات في البحوث الكمية، أما في البحوث الكيفية فالأمر مختلف فيما يتعلق بتحديد حجم العينة فالمعاينة تتوقف عندما تصل المعلومات التي يحصل عليها الباحث إلى حد التشبع ولا تضيف أي جديد لما لديه من بيانات، وليس عند الحصول على عينة ممثلة كما في البحث الكمي، ذلك أن إجراءات تحديد حجم العينة الكيفية حَرَاكية ومتطورة أكثر منها ثابتة ومحددة مسبَّقاً.

لكن هناك إرشادات وموجهات عامة لتحديد حجم العينة في البحث الكيفي، هي:

- هدف الدراسة: يكون محدداً مهماً لحجم العينة التي تشتق منها المعلومات الوافية. فبعض من بحوث دراسة الحالة مثلاً قد لا تحتاج إلا لحالة واحدة .
- محور الدراسة: فالدراسات التي يكون محورها المشاهدة الميدانية تعتمد على المدى الزمني، بينما تعتمد دراسة المقابلة على أشخاص يتم اختيارهم في ضوء سهولة الوصول إليهم.
- استراتيجية جمع البيانات الميدانية: على مستوى الملاحظة أو المقابلة. فقد يكون حجم العينة صغير ولكن يحتاج الباحث إلى أن يعود باستمرار للموقع أو إلى نفس الأشخاص المشاركين المعنيين بجمع المعلومات من أجل تأكيدها أو استكمالها أو توضيحها.
- مدى توافر مقدمي المعلومات: بعض الحالات تكون نادرة وصعبة، بينما تكون حالات أخر سهلة نسبياً.
- الزيادة اللاحقة في حجم المعلومات: وهل أن إضافة المزيد من المعلومات أو العودة إلى الميدان يؤديان إلى أية أفكار جديدة أم أنها تكرار لما تم التوصل إليه، أي أنها لن تضيف شيئاً جديداً.

- وحدة التحليل المستخدمة تُحدد حجم العينة. فعندما تكون وحدة التحليل موظفين دوائر وأقسام فهذا يتطلب عدداً أكبر من الموظفين في دراسة ما، من عندما تكون وحدة التحليل المدير العام مثلاً.

وأخيراً بالإمكان مراجعة حجم العينة والحكم على مدى كفاية معلوماتها، من خلال استشارة ذوو الخبرة والاختصاص والمشرفين على البحث (انظر: قنديلجي، 2008، ص156- 157).

ومن خلال ما سبق تمت الإجابة عن التساؤل الرئيس للبحث وتحقيق الهدف العام المرجو منه.

خلاصة نتائج البحث:

- ❖ يوجد اختلاف بين خصائص البحث الاجتماعي الكمي وخصائص البحث الاجتماعي الكيفي.
- ❖ تختلف استخدامات أسلوب البحث الاجتماعي الكمي عن استخدامات أسلوب البحث الاجتماعي الكيفي.
- ❖ بينت نتائج الدراسة النظرية وجود فروق بين خطوات تصميم البحث الاجتماعي الكمي وخطوات تصميم البحث الاجتماعي الكيفي (التي تم دراستها في البحث الراهن).
- ❖ يوجد اختلاف بين صياغة الفروض في البحوث الاجتماعية الكمية وصياغة الفروض في البحوث الاجتماعية الكيفية؛ حيث تصاغ الفروض في البحوث الكمية بشكل مسبق، بينما في البحوث الكيفية يتم صياغتها أثناء عملية جمع البيانات.
- ❖ ترتبط عدد من المناهج العلمية بالبحوث الاجتماعية الكيفية على وجه الخصوص.
- ❖ لا يوجد اختلاف بين البحوث الاجتماعية الكمية والبحوث الاجتماعية الكيفية في الأدوات المستخدمة في عملية جمع البيانات، بينما يكمن الاختلاف بينهما في إعداد وتصميم هذه الأدوات.
- ❖ يوجد اختلاف بين البحوث الاجتماعية الكمية والبحوث الاجتماعية الكيفية في طرق سحب/أخذ وحدات العينة؛ ففي البحوث الكمية يتم اعتماد أحد أنواع العينات العشوائية بشكل أساسي في سحب وحدات العينة، إضافة إلى أنه يمكن أيضاً اعتماد أحد أنواع

العينات غير العشوائية في بعض الأحيان. بينما في البحوث الكيفية يتم أخذ وحدات العينة باعتماد أحد أنواع العينات غير العشوائية.

- قائمة المراجع المعتمدة في البحث:

1- أبو زينة، فريد كامل وآخرون. 2007. **مناهج البحث العلمي: طرق البحث النوعي**. ط2، دار المسيرة، عمان.

2- أبو علام، رجاء محمود.2007 . **مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية**. ط6، دار النشر للجامعات، القاهرة.

3- بريك، يوسف. 2002- 2003. **مناهج البحث في علم الاجتماع**. ط2، منشورات جامعة دمشق، دمشق.

4- الخرابشة، عمر محمد عبد الله. 2012. **أساليب البحث العلمي**. ط 2، دار وائل، عمان.

5- داود، ليلى. 1999- 2000. **البحث العلمي في العلوم النفسية والاجتماعية**. منشورات جامعة دمشق، دمشق.

6- رمضان، محمد. 1981- 1982. **الإحصاء الاجتماعي**. منشورات جامعة دمشق، دمشق.

7- الزغول، عماد. 2005. **الإحصاء التربوي**. دار الشروق، عمان.

8- الساعاتي، حسن وآخرون. 2006. **تصميم البحوث الاجتماعية ومناهجها وطرائقها وكتابتها**. ط3، دار الفكر العربي، القاهرة.

9- ستراوس، آنسليم وآخرون. 1999. **أساسيات البحث الكيفي: أساليب وإجراءات النظرية المجذرة**. ترجمة: عبد الله بن حسين الخليفة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

10-عبد الحفيظ، إخلاص محمد وآخرون. 2000. **طرق البحث العلمي والتحليل الإحصائي في المجالات التربوية والنفسية والرياضية**. مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

11- عرابي، عبد القادر. 2007. **المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية**. دار الفكر، دمشق.

12- قنديلجي، عامر وآخرون.2009. **البحث العلمي: الكمي والنوعي**. اليازوري، عمان.

13- قنديلجي، عامر. 2008. **البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية: أسسه- أساليبه- مفاهيمه- أدواته**. دار المسيرة، عمان.

14- كاميك، بول م. وآخرون. 2007. **البحث النوعي في علم النفس: منظور موسع في المنهجية والتصميم**. ترجمة: صلاح الدين محمود علام، دار الفكر، عمان.

15- ريان، عادل محمد. 2003. **استخدام المدخلين الكيفي والكمي في البحث دراسة استطلاعية لواقع أدبيات الإدارة العربية**. المؤتمر العربي الثالث .البحوث الإدارية والنشر، القاهرة.

16-Bryman, Alan. 2005. **Research Methods and Organization studies.** London and New York: Rutledge.

17- John J., Macionis. 2000**.** **Society the Basics. Fifth Edition**. New Jersey: Prentice Hall.